مادة: الأدب الصوفي الجزائري **السنة الثالثة ليسانس/ أدب جزائري**

الدرس رقم 08 **أستاذ المادة: بن زياني**

أعلام الأدب الصوفي الجزائري: الأمير عبد القادر الجزائري

1) حياته ونشأته:

هو الإمام عالم الأمراء، وأمير العلماء عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري، ولد في شهر رجب، في قرية القيطنة قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري عام 1807م، حفظ القرآن الكريم في المدرسة التي أسسها والده في القيطنة، ولمّا بلغ الأمير أربعة عشرة من عمره، انتقل إلى وهران لاستكمال طلب العلم، وفي عام 1826م سافر مع والده برا إلى الحجاز، لقضاء فريضة الحج وزيارة المدينة المنّورة، والحضرة النبوية الشريفة، ومنها توجها إلى دمشق، فبغداد، فزار حضرة القطب الرباني الشيخ (عبد القادر الجيلاني)، ثم رجع إلى أرض الوطن، وبايعه أهل الجزائر عام 1832م، أميرا عليهم، مبايعة تذكرنا بطقوس بيعة الخلفاء الراشدين، كما عرف عنه أنّه قائد سياسي، قاد مقاومة شعبية أكثر من ستة عاما أثناء، منذ بدايات غزو فرنسا للجزائر عام 1830م، يعتبر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، نفي إلى دمشق حيث تفرغ للتصوف والفلسفة والكتابة والشعر، وتوفي فيها عام 1883م، وظل جثمانه بها حتى نقل إلى الجزائر عام 1966م.

ونبغ الأمير في الفقه وعلم الكلام والشعر والتصوف، ومن أشهر آثاره، كتاب(المواقف في التصوف) ورسالة(ذكرى العاقل وتنبيه الغافل)، وديوان شعري.

2) الأمير متصوّفًا:

البعد الصوفي في شخصية الأمير ليس بعدا عارضا أو طارئا ألجأته إليه الظروف، بل هو متجذّر في أعماق فطرته ويمكن تقسيم مساره الصوفي إلى ثلاث مراحل : **التعلق** ثم **التخلق** ثم **التحقق**.

-**المرحلة الأولى(التعلق)** : من ولادته إلى مبايعته، ثم طيلة جهاده التي انتهت عام 1847م، (و هو في عمر الأربعين، وهي مرحلة تعلقه بالتصوف والتعرف على رجاله، فقد ولد الأمير ونشأ في زاوية والده محي الدين شيخ الطريقة القادرية، وامتد إشعاع زاويته إلى أصقاع المغرب الإسلامي، وبوفاة

والده عام1833م، انتقلت الخلافة الروحية الطريقة القادرية إلى الأمير عبد القادر وهو حينذاك زعيم الجهاد وعمره حوالي 27سنة، وفي أحضان أسرته منذ صباه بدأ الأمير مطالعاته في التصوف، كما كان للأمير علاقات يومية برجال التصوف من أسرته، وفي زاوية والده ومن الشيوخ الذين تتلمذ عليهم... ولما تزعم الجهاد وحكم البلاد توسعت دوائر علاقاته بشيوخ مختلف الطرق الصوفية داخل الوطن وخارجه، ووجد الأمير من شيوخ أغلب الطرق الصوفية تأيدا و مآزره.

-**المرحلة الثانية:(التخلق)**: تتألف من فترتين: فترة سجنه ثم فترة السنوات الأولى من استقراره كليا في دمشق بعد إقامته في بروسة بتركيا.

الفترة الأولى : فترة الاعتقال مابين 1847و 1852،حيث جعل الأمير من سجنه مدرسة لتعليم أصحابه، فكانوا يتدارسون كتب الشريعة والتصوف و الأدب والتاريخ، وجعل الأمير من سجنه أيضا خلوة للذكر والتفكر والتعبد فأشرقت عليه مطالع الفتح النوراني، وحصلت له وقائع روحانية، ومشاهد ومرائي لرسول الله صلى لهعليه وسلم وللخليل إبراهيم عليه السلام.

الفترة الثانية: تبدأ من خروجه من السجن عام1852م، إلى سنة حجه عام 1862م، وبعدما خرج من سجنه، وقضى سنتين في بروسة بتركيا، حيث ألف كتابه(ذكرى العاقل وتنبيه الغافل)، ثمّ توجه عام 1855م لدمشق ليستقر بها... وفي هذه الفترة أتيح له دراسة كتب المشايخ الصوفية التي لم يطلع عليها من قبل، وتعد بالمئات، ولمّا ازداد عليها عكوفا ازداد بها شغفا وازدادت العلاقة الروحية بينه وبين المشايخ عمقا.

-المرحلة الثالثة:(مرحلة التحقق والفتح الكبير)

يقول ابنه محمد" أقبل الأمير على عبادة لله تعالى عند بيته الحرام، وتفرغ لها، من كلّ شيء يتعلق بالدنيا وأهلها واختار الشيخ محمد الفاسي، المجاور في مكّة المكرمة، أستاذا له فأخذ عليه الطريق، وتلقى شؤونها عنها ولازم، الرياضة والخلوة والاجتهاد، وعكف على ما في تلك الطريقة الميمونة، من الوظائف والأوراد، إلى أن رقي معارج الأسرار إلى حظائر القدس ذات الأنوار، ووقعت له كرامات وخوارق، وأحرز بقوة سعده أحوالا سنية وأنفاسا محمدية، وما تمّ له الارتقاء إلاّ في غار حراء، لأنه

انقطع فيه أيّامًا عديدة، إلى أن جاءته البشرى بالرتبة الكبرى، ووقع له الفتح النوراني، وتفجرت ينابيع الحكم على لسانه، وفاضت عيون الحقائق بين أدواح جنانه وانفتح له باب الواردات، واستظهر من القرآن العظيم آيات ومن الحديث النبوي أحاديث صحيحة.

3) **نماذج من شعره الصوفي**

لقد سلك الأمير عبد القادر مسلك المتقدمين من الصوفية تجاربهم الروحية، وذلك من خلال غوصهم في مختلف المضامين من ذلك تغنيهم بالخمر وسكرهم، وأثرها عليهم، فسكر هؤلاء العشاق من وقدة الحب وحرقة الجوى، ولذة الوصال والقرب من الله، يقول الأمير فيها واصفا أثرها الحسي والروحي:

ويشرب كأسا صرفة من مدامة فيا حبذا كأس و يا حبذا خمر

فلا غول فيها ولا عنها نزفة وليس لها برد وليس لها حر

يصوّر الأمير تأثير هذه الخمرة في شاربها من المتصوفة، فهي تسبب لهم الانشراح والانبساط، فتراهم سكارى وما هم بسكارة بنشوة هذه الخمرة، فحلقت أرواحهم، يقول:

ترى سائقيها كيف هامت عقولهم ونازلهم بسط وخامرهم سكر

وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم وشمس الضحى من تحت أقدامهم عفر

ويقول في الحب والغزل الإلهي، حيث تجلى الحب والعشق الإلهي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري الصوفي في قوله:

أوقات وصلكم عيد وأفراح يا من هم الروح لي والروح والراح

دبت حمياهم في كلّ جوهرة عقل ونفس وأعضاء وأرواح

ويقول أيضا معبرا عن درجة إخلاصه لحبيبه ، فقد أحبه حبا لا شريك له فيه:

هوى المحب لذي المحبوب حيث ثوى وكيفما راح هبت منه أرواح

أود طول الليل إن خلوت بهم وقد أديرت أباريق وأقداح

خلاصة:

من خلال سيرة ونماذج الشعر الصوفي عند الأمير عبد القادر الجزائري، نلمح بجلاء النزعة الصوفية فهو متصوف بالفطرة، وشعره يماثل كبار شعراء المتصوفة شكلا ومضمونا، كابن الفارض وابن عربي وأبي مدين شعيب، وغيرهم.